Фатхидин уулу Кутбидин

Аль-Имаму аль - Замахшаринин өмүр баяны жана Стилистика илимине кошкон салымы

Аль-Имаму Абул-Косим Махмуд ибну Умар аль-Замахшарий, 467- хижрий жылында Замахшар айылында жарык дүйнөгө келген, кичинекей кезинен баштап илим алууга кызыгып чонойгон.

Толук илим алууга жашы жеткен кезде Бухара шаарына барып чон аалымдардан тил илимин, жана грамматика, адабият, куран которуу, хадис, усул, жана акыйда илимдерин терен окуп үйрөнөт. Бир нече жыл Багдатка барып Абий ал-Хасан, ибну ал- Музофар, Абий ал-Мудур, Махмууд ибну Жариир сыяктуу чон аалымдырдан адабият илимин терен уйронгон.

Бухарага илим алуу үчүн кетип жаткан учурда улоосунан кулап буту сынып калат, андан сон бутун жыгачтан жасатып алган. Бул учурда Замахшари илим алууну жаңы баштаган болчу.

Замахшарий Багдатка келип ханафий мазхабынын дин аалымы болгон Дамагоннийге жолуккан кезде, ал бутун эмне себептен сындырып алганын тууралуу сураганда мынтип жооп берген:

- Энемдин дубасынын себебинен, анткени мен бала кезимде чымчыкты кармап анын бутун жип менен байлаган кезде колумдан учуп кетти, артыныа барып карасам бир кычыкка кирип кеткен экен, аны тартсам буту жип менен кошулуп үзүлүп кетти, бул кылган ишимди энем көрөп өтө ызаланып мага мынтип дуба кылды:

“Бул пенденин бүтун Алла Таала үзүп салсын, мына бул чымчыктын бутун үзүп салгандай.

Ал Багдат, Хросон сыяктуу көпөтөгөн шаарлардан илим алган. Акыркы жолу Меккеге барып, ал жерде сүйүктүү мекени Ховаризимге келип өмүрүнүн акырына чейин сабак берип, китеп жазган.

Арап тилинин стилистика илиминин негиздөөчүсү Абдул Кохиру ал-Журжаанийдин Курандын стилистикасы жөнүндө жазган. Ал анын« Далааилул ийжааз» - “Кереметтин сырлары” жана « Асроорул балаага» - “Стилистиканын сырлары” китептерин терен окуп чыгып куранды стилистикасы боюнча которуп китеп жазат, ал китептин аты « Ал-Кашшааф» деп аталат.

Замахшаринин стилистика илимине кошкон дагы бир чон салымы - стилистика илимин үч бөлүмгө бөлүп карайт алар: илмул байаан, илмул маани, илмул бадии.

Ал көптөгөн шакирттерди тарбиялап чыгарып, өз мекенинде жарык дүйнө менен кош айтышат.

سيرة الزمخشري

يعد أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الملقب بالزمخشري إمام الأئمة وهادي هداة هذه الأمة، فمن هو بأحاسن النعوت حري، صاحب التآليف الزاهرة، والتصانيف الفائقة الباهرة؛ وهو الإمام الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بلا معاني، كان إمام عصره من غير مدافع. وسوف نحاول في هذه الوريقات الاطلاع على سيرته بما تتضمنه من نبذة مختصرة عن حياته ونشأته واعتقاده ومذهبه كما سنفصل القول عن بعض جهوده البلاغية.

حياته ونشأته:

هو الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ظهر في القرن السادس، وفاق علماء عصره بآثاره العلمية، وكان من أكثر أفادوا من بلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني.

ولد بقرية زمخشر من أعامل خوارزم سنة 467 للهجرية، وتلمذ على أكابر علماء عصره في شتى علوم اللغة والنحو والأدب التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام، وكان معتزلي المذهب مجاهرا به[29].

وقد ورد بغداد غير مرة وأخذ الأدب عن أبي الحسن بن المظفر النيسابوري، وأبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني، وسمع من أبي سعد الشقاني، وشيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي وغيرهم[30].

اعتقاده:

لقد أشارت كل التراجم بدون إستثناء أن الزمخشري كان معتزلي الإعتقاد، متظاهرا بإعتزاله، متشددا بآرائه، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب.

والظاهر أنه كان يتفاخر ويتباهى باعتزاله، كيف لا، وقد وصفه أحدهم بأنه كبير المعتزلة، المتحقق به. أعاذنا الله وسنورد كلاما خاصا عن أثر اعتقاده في تفسيره الكشاف وكيف أنه فسر القرآن الكريم بالطريقة التي تنصر مذهبه الباطل.

---

[29] في تاريخ البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق، ص259

[30] أساس البلاغة، الإمام العلامة، الطبعة الأولى، 1992، بيروت، ص 5

مذهبه:

لم تنشر التراجم إلى مذهب الزمخشري الفقهي، بإستثناء كتابين، أحدهما: كتاب: ((العقد الثمين))، للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي المتوفي سنة 832هـ حيث يقول معنونا: محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الحنفي أبو القاسم المعروف بالزمخشري والثاني: كتاب: ((المغني)) للإمام محمد طاهر بن علي الهندي المتوفي سنة 986هـ حيث يقول: الزمخشري منه: محمود بن الخوارزمي الحنفي مذهبا صاحب تصانيف عجيبة. ولعل الذي يؤكد ما ذهب إليهما الإمامين إجتماعه بالفقيه الحنفي الدامغاني رحمه الله تعالى في بغداد.

ويؤكد الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه ((طبقات المفسرين))، انتماءه للمذهب الحنفي قائلا: وهو معتدل – في المسائل الفقهية – لا يتعصب لمذهبه الحنفي والله أعلم بالصواب[31].

جهوده البلاغية:

نشأ الإمام الزمخشري محبا للعلم منذ صغره، فما أن وصل إلى سن الطلب رحل إلى بخارى لطلب العلم وهنالك قطعت رجله، فجعل له رجلا من خشب يستعين بها في المشي، ومن هناك كانت بدايته، ففتح الله تعالى عليه من العلم ما لم يفتح على غيره من أهل بلدته في عصره، فكان أعل فضلاء العجم العربية في زمانه، وأكثرهم أنسا واطلاعا، وبه ختم فضلاؤهم حتى أصبح يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة، وقد ساعده على ذلك التوفيق أولا، ثم إقفاله على العلم ثانيا، وبدأ يحط رحله من بلد إلى آخر، فورد العراق فلما دخل بغداد إجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني، فسأله عن سبب قطع رجله فقال: دعائت الوالدة، وذلك أنني في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله، وانفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت أمي ذلك وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطع رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم، فسقط عن الدابة فانكسرت الرجل، وعمل علي عملا أوجب قطعها.

وكذلك دخل خراسان، ثم خرج منها إلى الحج، فلما نزل مكة شرفها الله تعالى وجد بها الشريف السيد الفاصل الكانل أبا الحسن على بن عيسى الحسني فعرف قدره ورفع أمره، وأكثر الإستفادة منه، وأخذ عن الزمخشري وأخذ الزمخشري عنه ونشطه لتصنيف ما صنف.

[31] تفسير الكشاف، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الطبعة الأولى، 2002، بيروت، ص 7-8

ثم انتقل مقيما برهمة في الحجاز، حتى هبت على كلامه رياح البادية، وورد مناهل العرب العاربة، ثم أنكفأ راجعا إلى خوارزم، وأكثر من التصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك، حتى بدأت تشد عليه الرحال في فنونه، ثم قوي عزمه على الرحلة عنها، وورود إلى الحجاز، فقيل له: قد زجيت أكثر أمرك هناك فما الوجيب؟ فقال: القلب الذي لا أجده ثم أجده هاهنا.

وكان كلما دخل بلدا اجتمع عليه أهل هذا البلد وتلمذوا له، واستفادوا منه ونقلوا عنه، وبعد أن جاب الدنيا ورحل من هنا عاد من مكة إلى وطنه الحبيب خوارزم وبقي فيها يصنف ويلقي بها الأكابر والأفاضل، ويلتمز فيها إلى أن توفاه الله تعالى[32].

والزمخشري ناثر شاعر مرموق، وأسلوبه في النثر الفني بديع رائع، يغلب عليه السجع الخالي من التكلف.

وأهم كتب الزمخشري التي يهمنا في عرضنا التاريخي للبلاغة هو تفسيره ((الكشاف)). واهتمام المعتزلة بتفسير الإعجاز البلاغي للقرآن إهتمام قديم، فقد كتب فيه من رجالهم قبل الزمخشري، الجاحظ والرماني وعبد الجبار المعتزلي وغيرهم.

لقد تلتمذ الزمخشري في البلاغة على عبد القاهر في كتابه " دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، وعمق في فهمهما واستيعابها إلى الحد الذي جعله يؤمن بأن المعرفة بالبلاغة وأساليبها لا تكشف فقط عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن، بل تكشف أيضا عن خفايا معانيه وأسراره.

وفي مقدمة كتاب ((الكشف)) يقرر الزمخشري أن تفسير القرآن لا يكفي فيه أن يكون المفسر من أئمة الفقه، أو النحو، أو اللغة، أو علم الكلام، أو القصص والأخبار. وإنما ينبغي فيمن يتصدى له أن يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعاني والبيان. وهذان في نظره أهم عدة لمن يريد أن يفسر القرآن، إذا بدونهما لا يتأتي له الوصول إلى أسرار إعجاز القرآن وفهم مرامي معانيه.

والحقيقة أن " الكشاف" هو في الواقع خير تطبيق علمى كل ما إهتدى إليه عبد القاهر من قواعد المعاني والبيان، فقد إتخذ الزمخشري من آي الذكر الحكيم أمثلة وشواهد يوضح بها كل قواعد عبد القاهر البلاغة سواء ما إتصل منها بعلم المعاني أو العلم البيان.

[32] تسريف الكشاف، أبي القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري الخوارزمي، ص 7

وإذا كان عبد القاهر هو مؤسس علم المعاني وعلم البيان، وهو من إستنبط من جزئيات كل علم منهما الكثير من قواعده، فأن الزمخشري هومن أكمل هذه القواعد بالإضافات الجديدة التي وفق إليها، وجاءت مغرقة في تضاعف تفسيره " الكشاف".

وإذا تتبعنا جهود الزمخشري البلاغية في كتابه " الكشاف" في تفسيره القرآن فإننا نجده يستمدها من بلاغة عبد القاهر وقواعده ملتمسا لها الشواهد من آي الذكر الحكيم وضيفا إليها ما يعن له من آراء وتقسيمات وتفريعات[33].

واضح أنه يجعل علم المعاني والبيان أهم عدة لمن يريد أن يفسر التنزيل، إذا بدونهاما لا تستقيم له الدلالات ولا تتضح له الإشارات ولا لطائف ما في الذكر الحكيم من الجمال البلاغي المعجز الذي عنت له وجوه العرب وخسروا ساجدين. وإذن فليس التفسير هومعرفة معاني القرآن الكريم فحسب، بل هوأيضا بيان الأسرار إعجازه، بل إن مفسر معرفة معانيه لا تم إلا لمن تمت له آلة البلاغة وعرف وجوه الأساليب وخصائصها المعنوية وحذق الأسباب المعنية على تمييز صور الكلام البيانية. ويقول الزمخشري إنه لا بد من التجرد لذلك وطول الكد والتفسير والبحث، حتى يبلغ من يتصدى للتفسير الغاية في معرفة علم المعاني والبيان. وهذه هي أول مرة يلقنا هذا التمييز بين العلمين الأساسيين للبلاغة.

وكان عبد القاهر كما أسلفنا يسمى العلم الأول علم النظم أو الأسلوب، وكأن الزمخشري للمعتزلي رأى أن يعدل عن هذا الاصطلاح، التنازع المعتزلة والأشعرية في مدار الإعجاز وهل هو النظم أو الفصاحة على نحو ما مر بنا في صدر هذا الفصل، فوضع هذا الإسم الجديد للعلم حتى يخرج به عن مجال هذا النزاع. وكانت كلمة البيان كما قدمنا قد ترددت على لسان عبد القاهر في فاتحة كتابه " أسرار البلاغة" فاتخذها الزمخشري علما مباحثه فيه، وهي مباحث تناولت في تفصيل التشبيه والإستعارة والمجاز بنوعيه اللغوي، والعقلي أو الإسنادي أوالحكمي. وبذلك كان الزمخشري أول من ميز بين هذين العلمين، فجعل لكل منهما مباحثه الخاصة واستقلاله الذي يشخصه. ونقل عنه السيد الجرجاني أنه لم يكن بعد البديع علما مستقلا بل كان يراه ذيلا للعلم المعني والبيان، وسترى السكاكي يتأثر به في ذلك، ومكأنه هو الذي ميز الأول مرة بين العلوم البلاغة الثلاثة، وإن كان سنجد بينهما شيئا من التداخل يلقانا في الحين بعد الحين.

كانت علوم البلاغة – على هذا النحو – واضحة تمام الوضوح في ذهن الزمخشري، ومضى يطبقها على آي الذكر الحكيم مهتما خاصة بعلمي المعاني والبيان، لتشابكهما في دلالات

[33] في تاريخ البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق، ص 260-263

الألفاظ والتراكيب وفي أسرار الإعجاز القرآني ولطائفه الدقيقة. ولا تغلو إذا قلنا إن عنايته بالعلم الأول كانت أتم وأوضح، لسبب طبيعي، وهوأن عبد القاهر وعبد الجبار جميعا عالا به الإعجاز في القرآن، فهو مدار الحجة القاطعة والدلالة الساطعة[34].

شيوخه:

لم تذك المصادر أسماء شيوخه الذين لقيهم وتلقى العلم عليهم، ولكن إكتفوا بذك أسماء ستة من شيوخه وهم:

1 – أبوالخطاب نصر بن البطرة.

2 – أبوالحسن على بن المظفر النيسابوري.

3 – أبومضر محمود بن جرير الضبي الأصبحاني.

4 – أبوالحسن علي بن عيسى بن حمزة.

5 – أبوسعد الشقاني.

6 – أبو المنصور الحارثي. وغيرهم كثير.

تلاميذه:

ظهر للزمخشري جماعة من التلاميذ منهم:

1 – أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلي بطبرستان.

2 – وبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز بأبيورد.

3 – وأبو عمرو بن الحسن السمسار بزمخشر.

4 – وأبو سعد أحمد بن محمود الشاشي بسمرقند.

5 – وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم.

6 – وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي.

7 – وزينب بنت عبد الرحمن الشعري وجماعة سواهم.

والظاهرأن التلاميذه كثر؛ لأنه جاء في المصادر ما نصه: وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه[35].

مؤلفاته:

كان الزمخشري بارعا في كثير من العلوم، وبخاصة العلوم الدينية وعلوم اللغة. وله تصانيف كثيرة تزيد على الثلاثين، وأهمها:

---

[34] البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص 221-222

[35] تفسير الكشاف، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ص

1 – الكشاف. طبع عدة طبعات. منها طبعة القاهرة – البابي الحلي عام 1966م.

2 – المفصل في العلم العربية.

3 – أساس البلاغة. طبع عدة طبعات منها دار الكتب بمصر عام 1972م.

4 – الأنموذج. وهومختصر لكتاب المفصل. طبع عدة طبعات، منها طبعة القاهرة عام 1289 هـ.

5 – الفائق في غريب الحديث. طبع بمصر – البابي الحلبي عام 1367هـ.

6 – المستقصي في الأمثال، طبع في حيدر آباد الدكن بالهند عام 1962، وفي بيروت عام 1397هـ.

7 – القسطاس في العروض.

8 – صميم العربية.

9 – شرح أبيات الكتاب.

10 – أطواق الذهب في المواعظ والأدب. طبع في بيروت عام1293هـ.

11 – الأحاجي النحوية.

13 – التوفيق على مناهج التركيب والتأليف.

14 – نوابغ الكلم، طبع في القاهرة عام 1287هـ. كما نشر في بيروت عام 1306هـ

15 – المقامات.

16 – ربيع الأبرار. طبع في بغداد – العاني[36].

وختاما نبرز أهم ما وصلت إليه عن سيرة العلامة الشيخ الزمخشري:

فقد نشأ الإمام الزمخشري محبا للعلم منذ صغره، وقد عاش في القرن السادس الهجري، وفاق علماء عصره بآثاره العلمية، وكان من أكثر أفادوا من بلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني، وأهم كتب الزمخشري التي يهمنا في عرضنا التاريخي للبلاغة هو تفسيره "الكشاف"، كما يعد الزمخشري أول من ميز بين علم المعاني والبيان، فجعل لكل منهما مباحثه الخاصة واستقلاله الذي يشخصه.

وقد قرر الزمخشري أن تفسير القرآن لا يكفي فيه أن يكون المفسر من أئمة الفقه، أو النحو، أو اللغة، أو علم الكلام، أو القصص والأخبار. وإنما ينبغي فيمن يتصدى له أن يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعاني والبيان. كان الزمخشري أول من ميز بين هذين العلمين، فجعل لكل منهما مباحثه الخاصة واستقلاله الذي يشخصه.

وقد وضح من عرضه في كتاب الكشاف أن علمي المعاني والبيان أهم عدة لمن يريد أن يفسر التنزيل، إذا بدونه اما لا تستقيم له الدلالات ولا تنضح له الإشارات ولا لطائف ما في الذكر الحكيم من الجمال البلاغي المعجز الذي عنت له وجوه العرب وخسروا ساجدين.

---

[36] الفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولى، 2004، دار عمار، ص 10-11

المصادر والمراجع

1 أساس البلاغة، الإمام العلامة، الطبعة الأولى، 1992، بيروت
2 البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة، 1992، المعارف
3 تفسير الكشاف، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الطبعة الأولى، 2002، بيروت
4 الفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولى، 2004، دار عمار
5 في تاريخ البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق ، بيروت